جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

اسم المقرر
النظريات الاجتماعية

أستاذ المقرر:
د. فهد بن عبدالرحمن الخريّف

المحاضرة (١)
في معنى النظرية الاجتماعية

عناصر المحاضرة

- العلاقة بين النظرية والواقع.
- تعريف النظرية.
- المقصود بعملية التنظير.
- ما النظرية الاجتماعية.
- مفاهيم ترتبط بالنظرية الاجتماعية.
- تعريف النظرية الاجتماعية من حيث البناء والهدف.

العلاقة بين النظرية والواقع

يفتَرض كثير من الناس أن هناك فجوة واسعة بين النظرية والواقع. إذ يُنظر إلى النظرية باعتبارها شيئا مبهماً وغامضاً، ومجالا خاصا للمفكرين والفلاسفة وحدهم، ومن ثمّ فلا صلة بين النظرية والواقع . ذلك الواقع الذي ينظر إليه الناس على أنه عملي وجزء من الحقيقة ويختص بشئون الحياة اليومية.

ما سبق من رؤية تعد مشوهة وخاطئة، وتعكس رِدَةً في الفكر الإنساني، وعلى نقيض الرأي السائد بين الناس، فإذا نظرنا إلى حقيقة العلم ومضمونه نجد أن العلم ما هو إلا منهج لتسجيل الخبرات البشرية والربط بين عناصرها على أسس عقلية. **وتعتبر النظرية** ما هي إلا مجموعة من الروابط العقلية التي تشرح وتفسير كيف تعمل ظاهرة معينة(اجتماعية أو طبيعية) في حياتنا اليومية .

بل ربما كان الربط بين الظواهر هو المهمة الأولى للعلم، فأنه لا يقتصر دوره على جعل معرفتنا المتشعبة قابلة للتعامل معها بطريقة منتظمة، بل تمتد إلى تنمية معرفتنا الحاضرة

والمستقبلية . ووظائف العلم هذه هي ما يلخصها العلماء في **أربعة أهداف لأية علم** من العلوم، وهي(الوصف، والتفسير، والتنبؤ، والتحكم). كما أن الربط بين بين الظواهر يكشف عن خبراتنا التي تُظهر للوهلة الأولى أنها متفرقة أو متباينة. لذا نجد أن العلماء يضحون بآرائهم السابقة من أجل تحقيق الربط العقلي بين ملاحظاتهم، لأنهم يخشون الأشياء المبعثرة أكثر من خشيتهم من الأشياء المبهمة.

والمقصود بالربط العقلي Rational correlation : هو عملية التفسير، أو يعني العلاقة المنطقية بين الظاهرة موضوع البحث وبين ظاهرة أخرى أو مجموعة من الظواهر سواء كان هذا الربط مباشراً أو غير مباشر، فمحاولة الربط بين الظواهر كما يمارسها العلم تقوم على أسس عقلية، كالمقارنة، واستنباط أوجه الشبه الكلية، وإمكان القيام بعدد من التجارب والمشاهدات للتأكد من ثبات الارتباط.

وكذلك يلاحظ أن **الربط العقلي** أيضا يمثل الأساس في قدرتنا على التنبؤ، ذلك أننا إذا

استطعنا أن نكشف عن ارتباط دائم بين (أ و ب) فإنه كلما شاهدنا (أ) أمكننا أن نتنبأ بحدوث (ب).

وهكذا نرى أن النظرية هي شيء لصيق بالواقع العملي والحياة اليومية، إذ من خلال ما سبق تمثل النظرية الأساس لكل أجزاء المعرفة الإنسانية، وأساس للتفسير اليومي الذي يقوم به الفرد للظواهر الاجتماعية والطبيعية. إن مثل هذه التفسيرات اليومية هي متضمنة في الملاحظات العملية، أي فيما نلاحظه يوميا ونحاول تفسيره وفهمه.

ثم إذا نظرنا إلى **عملية التنظير** Theorizing نفسها وهي ما نعني به: (تكوين وتحسين الشروح التفسيرية) نجد أنها عملية يقوم بها الإنسان بصفة دائمة، بوصفها عملية أساسية للمعرفة العملية والتأثير الاجتماعي المتبادل، أي التفاعل الاجتماعي اليومي.

وهكذا سواء حاول عالِم الطبيعة شرح بناء الخلية وذراتها ومكوناتها، أو حاول أبٌ مساعدة ابنه لماذا يجب أن لا يكذب أو لماذا يجب أن لا يغش، ففي كلتا الحالتين هي محاولة

لشرح وتفسير ما يمكن أن يحدث من اضطراب في العلاقات الطبيعية والاجتماعية (نتيجة للكذب أو الغش) . فالعالِم والأب قاما بعملية التنظير(تكوين وتحسين الشروح التفسيرية). إذن فالنظرية متضمنة في كل هذا بطريقة ما ، بمعنى مجموعة العلاقات والمترابطة عقلياً بين بعض خبراتنا البشرية.

ولهذا يمكن أن نلاحظ أن النظرية متضمنة في العلاقات المتبادلة بين الأشخاص، وفي المجهودات العلمية الإنسانية. ذلك بسبب أن الناس عادةً يميلون إلى تعليل وتفسير بيئتهم الاجتماعية والنفسية.

غير أن **هذه العملية (التعليل والتفسير)** تحدث داخل بيئة اجتماعية محددة، بتحديد من الفكر والأيديولوجيا السائدين وتجارب التاريخ من أجل تعريف الحقيقة الطبيعية والاجتماعية في هذا البناء. فتفسير ظاهرة المطر في ثقافة بدائية يختلف تماما عن تفسيرها في ثقافتنا.

وبالمثل في المجال الاجتماعي فنظريةٌ في الاقتصاد في ثقافة غربية أو شيوعية تختلف تفسيراتها عن نظرية في ثقافة إسلامية.

ما النظرية الاجتماعية؟

اختلف مفكرون كثيرون في تعريف النظرية وتحديدها، لكن يمكن القول بأن النظرية الاجتماعية مجموعة من الافتراضات التي تهتم بالمجتمع والظواهر الاجتماعية، على أساس أن المجتمع وظواهره لهما واقعهما الاجتماعي المنفصل عما عداه من الظواهر، ولقد بذل دوركايم جهدا منهجياً كبيراً من أجل تحقيق هذا الهدف، وأصبحت هذه حقيقة يأخذ بها كل علماء الاجتماع.

كما أن النظرية الاجتماعية **تقف في تضاد مع أنساق التفكير المبكرة** التي كانت تتسم بالأسطورة والخيال والثيولوجيا والطبيعية عند شرحها وتفسيرها للظواهر الاجتماعية. فالنظرية الاجتماعية الحديثة تقوم على أساس وجود النسق الاجتماعي (المجتمع) كذات مستقلة في تعارض مع الظواهر الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) أو الثيولوجية (الدينية).

ومن ثمّ يمكن اعتبار أن النظرية الاجتماعية نشأت لتبرز تطور ونمو نمط ونسق من التفكير الذي حلت فيه فكرة واقعية المجتمع والحقيقة الاجتماعية محل التفسيرات السابقة التي

كانت سائدة في منتصف القرن(١٩م) وما قبله، ومن ثمّ صاغ المنظرون Theorists مفاهيما عن الحقيقة الاجتماعية واستخدموها في شرح الظواهر الاجتماعية.

وهكذا أصبحت النظريات الاجتماعية تقدّم مفاهيما عن النظام الاجتماعي والحالة التي يتغير فيها، أي تقدم مفاهيما عن بناء المجتمع والعمليات الاجتماعية Social process .فإذا كانت النظرية الاجتماعية هي: مجموعة من الافتراضات التي تحاول شرح وتفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية . فطبقا لذلك تصبح النظرية الاجتماعية عبارة عن قضايا تجريدية ومنطقية مصاغة في شكل مفاهيم اجتماعية.

ولكن ذلك لا يعني أن النظرية الاجتماعية هي مجرد مجموعة من المفاهيم الاجتماعية المتراصة عشوائيا، بل إن المنظّر Theorist عندما يكتشف بعض المفاهيم النظرية Social consepts يتجه إلى الربط بين اثنين أو اكثر من هذه المفاهيم في شكل تقارير عن الحياة الاجتماعية Statements .

ومهما بلغنا من الدقة في وصف ظاهرة معينة بمفهوم علمي، إلا أننا لا نستطيع استخدام ذلك المفهوم للشرح والتنبؤ، إلا من خلال الوصول للتقرير النظري السابق.

فمثلا بمجرد أن نفترض Hypothesis (أنه كلما زادت درجة تركيز التنظيم كلما زادت الكفاءة الإنتاجية) على حد قول ماكس فيبر، أو (كلما زادت كثافة السكان زاد تقسيم العمل) كما قال دوركايم، أو (كلما زادت حدة التدرج الطبقي كلما زاد الصراع الاجتماعي) وفقا لماركس، أو (كلما زاد الصراع كلما زاد التكامل الاجتماعي) على حد قول سيميل. نلاحظ أنه في هذه التقارير قد تحركنا من مجرد الوصف إلى شكل من أشكال التنبؤ.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عددا من المصطلحات والمفاهيم التي تشيع الاضطراب والحيرة حول اصطلاح التقرير النظري، ومن بين تلك المصطلحات: الفرض Hypothesis والقضية Proposition ،والبديهية Axiom ،والافتراض Assumption الخ. وفي الحقيقة أنه لكل من المفاهيم السابقة معناه الذي يكون غير واضح أحياناً. فقد أشار (زيتربرج) إلى أن الفرض هو تقرير نظري غير مثبت بينما القضية مثبتة ومبرهنة بالدلائل.

وبالمثل تعمل كثير من المفاهيم على إبهام وغموض اصطلاح النظرية، ذلك أن هذه المفاهيم تفتقد قوة التفسير، مما يجعل الأمر يختلط على كثير من الدارسين. وأهم تلك المفاهيم : **الوصف** Description ، **والتنميط** Typology ، **والنموذج** Model ، **والتنبؤ** Prediction .

ومما يزيد الأمر صعوبة أنه لا يوجد اتفاق بين علماء الاجتماع على تعريف واحد للنظرية، لذا من المهم التمييز بين النظرية وتلك المفاهيم السابق ذكرها حتى يتضح لنا تماما معنى النظرية، وأبرز صفاتها وخصائصها الأساسية.

إن الوظيفة الأساسية لنظرية ما هي: محاولة تفسير أو شرح علاقة الظاهرة موضوع البحث وظاهرة أو ظواهر أخرى ، أي أن الوظيفة التفسيرية هي التي تميز النظرية عن تلك المفاهيم التي لها علاقة بالنظرية لكن ليس لها قدرة تفسيرية.

مفاهيم ترتبط بالنظرية الاجتماعية

فمفهوم الوصف: يشير إلى تحديد أو سرد خصائص ظاهرة ما دون تفسير لوجودها أو تغيرها، فوصف لثقافة فرعية مينة كثقافة زنوج وسط أفريقيا لا يفسر علة وجود مثل هذه الثقافة، ولا يشرح التطور والتغير في تلك الجماعة.

ويدل مفهوم التنميط : على مجموعة من الخصائص أو المميزات يفترض أنها تشير إلى ظاهرة معينة أو أن هذه تعبر عن هذه الظاهرة تعبيرا نمطيا. فمثلا فالتنميط للأسرة كأسرة نووية أو ممتدة لا يشرح ذلك أو يعلل شيئا داخل مثل هذه الوحدة الاجتماعية.

وكذلك **ينظر إلى النماذج:** أحيانا باعتبارها (أنماطا) وتقوم النماذج على ملاحظة أقل دقة، كما تحدد العلاقات المتداخلة بين الخصائص، لكنها تفتقد القوة التفسيرية، فمثلا نموذج المجتمع الصناعي المتقدم في المستقبل يمكن أن يكون مفيدا، ويمكن أن يكون مقاما على أساس بيانات تجريبية. لكن تلك النمذجة لا تفسر التطور أو تفسر بناء ذلك المجتمع أو العمليات الداخلية في مثل هذا المجتمع أي النموذج المقترح، أي أنه ينقصه القوة التفسيرية.

أما التنبؤ: فيعني: أن المرء يمكن أن يعرف موقف فرد بالنسبة للمتغير(س) بناء على معرفة موقفه من المتغير (ص) وذلك من خلال ارتباطات وعلاقات تجريبية ومشاهدات سابقة قد لوحظت بين المتغيرين، وقد يكون بمقدور الباحث أن يقدّم ويعرض مستويات أعلى من التنبؤ، لكن دون أن يستطيع فهم هذه العلاقات ويفسرها. فالمعلم على سبيل المثال قد يكون قادرا على التنبؤ بدرجات طلابه من خلال منجزاتهم على مدار العام الدراسي، بل وبدرجة عالية من الصحة، دون أن يكون قادرا على تفسير العلاقات، خاصة عندما يتفوق طالب في مقرر ويخفق في مقرر آخر. **وهكذا فالتنبؤ** بحكم طبيعته لا يقدم بأي حال نظرية ما أو يقدم تفسيرا وشرحا لها.

ونخلص إلى أن كل المفاهيم السابقة (الوصف، والتنميط، والنماذج، والتنبؤ) هي أجزاء من بناء النظرية لكنها لا تفسر وحدها الظواهر ولا العلاقة بين متغيراتها، وهذا ما يؤكد أن الوظيفة الأساسية للنظرية هو قدرتها التفسيرية.

تعريف النظرية من حيث البناء

ومن أجل إلقاء الضوء على الخصائص الأساسية لنظرية ما، سيتم استعراض بعض تعريفات كبار دارسي النظرية وأعطوا اهتماما كبيراً بها.

١- تعريف (بلالوك) النظرية: يجب أن تحتوي على قضايا أشبه بقوانين تربط بين مفهومين أو متغيرين أو أكثر في الوقت نفسه.

٢- تعريف (ويلر) النظرية :هي مجموعة متكاملة من العلاقات المتكاملة ذات مستوى معين من الصدق.

٣- تعريف (هيج) النظرية: هي مجموعة من القضايا أو الأحكام النظرية.

يلاحظ أن كل واحد من هؤلاء الكتّاب – وغيرهم – يركز على جانب محدد من جوانب النظرية، يختلف فيه عما اهتم به دارس آخر لها. إلا أنه يمكن ملاحظة عدداً من الخصائص العامة المشتركة عند صياغة النظرية كـ : التجريد، المنطق، القضايا، التفسيرات، والربط بين العلاقات ، وأخيراً القبول من المجتمع العلمي. لذا يمكن تعريف النظرية بأنها: (مجموعة من القضايا المجردة والمنطقية تحاول تفسير العلاقة بين الظواهر المدروسة)

ومما سبق يمكن ملاحظة أن أساس أي نظرية هو ذلك النموذج الذي تقدمه كتفسير للحقيقة الاجتماعية أو الطبيعية. وعادة ما يتكون ذلك النموذج من عنصرين، هما:

١. مفهوم Concept عن الظاهرة، مثلا يمكن النظر إلى المجتمع كمجموعة من النظم المتساندة.

٢. افتراضات Assumptions توضح العلاقات السببية، مثل وجهة النظر التي تعتبر ان البناء الاجتماعي يتطور في استجابة لحاجات النسق أو الوظائف الأساسية لمجتمع.

تعريف النظرية في علم الاجتماع من حيث هدفها

١. مجموعة من الافتراضات التي تهتم بالمجتمع، تحاول شرح وتفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها.

٢. مجموعة من العلاقات تستخدم لشرح وتفسير كيفية عمل وتفاعل مجموعة من الظواهر.

٣. تراكم مترابط ومفاهيم وتصورات تأخذ شكلا منظما بقصد تفسير الأحداث الاجتماعية وبلورة "قوانين" لها القدرة على التعبير عن الواقع والتنبؤ به.

٤. مجموعة من القضايا المقبولة والمنطقية تحاول تفسير العلاقة بين الظواهر.

تمت بحمد الله